

أضواء البيان

@ 239 @ .

وفي قوله : { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } وغير ذلك من الآيات . .

ومن رأى هذا التسخير اعترف بالفضل والقيام بالحمد ، وتقديم الشكر كما قال تعالى : { وَاللَّذِينَ جَعَلْنَا هَآهِنَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفٍ فَاِذًا وَجِيَتِ جُنُودُهَا فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَا هَآهِنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . .

وقوله : { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَرْضِ نِعَامًا مَّا تَرَكِبُونَ لِيَتَسَوَّوْا عَلَى طُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذًا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَآذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } . .

أي مع شكر النعمة الاتعاط والعبرة والاستدلال على كمال القدرة . .
ومنها المعاد والمنقلب إلى الله تعالى ، فقوله : { وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } بعد المشي في مناكب الأرض وتطلب الرزق وما يتضمن من النظر والتأمل في مسببات الأسباب وتسخير الله لها ، كقوله تعالى : { وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } بعد ذكر { خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا } أي الأصناف وتسخير الفلك والأنعام والبحر والبر فيه ضمناً إثبات القدرة على البعث ، فيكون المشي في مناكب الأرض واستخدام مناكبها واستغلال ثرواتها والانتفاع من خيراتها لا لطلب الرزق وحده ، وإلا لكان يمكن سوجه إليهم ، ولكن للأخذ بالأسباب أولاً ، وللنظر في المسببات والعبرة بالمخلوقات والتزود لما بعد الممات ، كما في آية الجمعة : { فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } . .

أي عند مشاهدة آيات قدرته وعظيم امتنانه . .

وعليه ، فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى ، والاستغناء والاستثمار والإنتاج ، فما نقص عليها من أمور دنياها إلا بقدر ما قصرت هي في القيام بهذا العمل وأضاعت من حقها في هذا الوجود . .

وقد قال النووي في مقدمة المجموع : إن على الأمة الإسلامية أن تعمل على استثمار